النـــدوة اللبنانيـــة
بيـــروت

٨ كانون الثاني ١٩٦٣

حديث النـــدوة اللبنانيـــــة

لبنان في شخصيته وحضـــوره

ايها المستمعون الكرام ،

في السابع والعشرين من الشهر المنصرم ارتأت الندوة ان تقوم بواجب الوفاء نحو كبير كبير بين المفكرين اللبنانيين كان قد اختار منبرها منطلقا لصوته فشرفها باكتناز خواطره . هذه الخواطر ، خواطـــر ميشال شيحا ، كانت منثورة في منشورات خمس صدرت بين عام ١٩٤٨ و ١٩٥٤ باللغة الفرنسية وكان لهـا فعاليتها في العقول العقول والقلوب يوم القيت ونشرت . هذا الكبير غاب عنّا يوم ٢٧ كانون الاول ١٩٥٤ ، فشئنـا ، احتفاء بالذكرى الثامنة لوفاته ، ان نعيد صوته الى الحس والوجدان فعهدنا الى ألمعية الاديب فؤاد كنعان ان ينقل محاضراته الى العربية ثم اصدرناها في كتاب اسميناه "لبنان في شخصيته وحضوره" قدمته الندوة الى ملتقى دعا اليه رئيس مجلس امنائها الاستاذ هنري فرعون فاجتمع في دارته دولة الرئيس كرامي والنخبة من رجال الفكر والادب وقادة الرأي في هذا الوطن .

في ذاك الملتقى ، تكلم الاستاذ فرعون فأكد على الدور الذي قام به الغائب الكبير في حياتنا الوطنية ، قال : "على الصعيد الاقتصادي ، نحن مدينون لميشال شيحا بنصيب كبير من نظامنا الاقتصادي الحر ومن ازدهارنا الاقتصادي بالتالي . وعلى الصعيد السياسي ، كان نقيدنا مستشارا لمعظم السياسيين عندنا ، لا ينشد نفعا ولا مصلحة خاصة ، وكان في طليعة المدافعين عن المبادئ التي اتاحت لمختلف الاسر اللبنانية الروحية ان تتعايش في بلادنا باطمئنان وان تحقق ميثاق ١٩٤٣ ، فكان ان ركز لبنان = استقلاله = على قواعد طبيعية صلبة = وثابتة . "

وبعد الاستاذ فرعون ، كانت الكلمة لمعالي وزير الخارجية الاستاذ فيليب تقلا . والاستاذ تقلا يرى ان ميشال شيحا كان رجلا مثاليا وعمليا في وقت واحد معا ، وان عبقريته الفذة كانت في اقامة الجسور بين عبقرية الحلم وعبقرية الواقع . وهي لعمري مغامرة لا يخوضها الا المؤمنون ، و= والنجاح فيها وقف على الحكماء وذلك هو سرّ العظمة في الرجال .

ويضيف معالي وزير الخارجية ان تاريخ لبنان ، في الفترة الممتدة من بداية الحرب الاولى الى نهاية الحرب الثانية ، هو ، في العميق من اسبابه ، محصل ذلك الجهاد عند ميشال شيحا وامثاله لاي فئة انتموا لبنان . نخبة ارتفعوا الى مستوى الاحداث والى مستوى الرسالة فتبلور هذا الوطن في وعيهم وانبعثت صيته ، واصلة بين الماضي والحاضر ، مطلة على المستقبل بكل ما يزخر في شعب عرين من عزم على بعث امجاده ، لتنافس دوره في انشاء الحياة وتطوير الحضارة .

ويفيد الاستاذ تقلا ان ميشال شيحا لم يدخل معترك السياسة الا الى حين ، لكنه لم يغادره الا به ان ترك فيه علامة منه : الدستور . وفي ما اتصل بهذا الدستور ، نصا وروحا ، بالحقة بالتمثيل الشعبي في بلد تعددت عناصره ، وبتوزيع المسؤوليات بين اجهزة الحكم ، وتكريس الحريات الاساسية ، ما يلقي ضوءا على تفكير الرجل الكبير وعلى الطريق الذي سلكه بعد ان غادر المعترك . وكأني به ، يتابع الخطيب ، لم يغادره الا لحدسه بأن مكانه هو مكان القادة يرون منه ما لا يراه الجنود خلل الغبار ، فيرسمون الخ ويوجهون المعركة .

وفي الواقع ، ان لميشال شيحا في العمل الوطني يد المهندس الباني ويد القائد المدافع عن البناء . فدوران مختلفان في المظهر ، متحدان في الجوهر والغاية . وقد كان يقينه ان ما يسهم في بنائه وفي الدفاع عنه شيء يسمو على مشاغل الحياة العابرة . وفي الصرخة التي اطلقها ، في محاضرة له من المحاضرات التي تؤلف كتابا جديدا ينضم الى سلسلة الكتب الذخائر ، ما يفصح عن همّ ، ويذكر بالصرخة التي اطلقها السيد المسيح على منتهى الهيكل ، عنيت قول ميشال شيحا : " ان ما نبنيه وما نطمح اليه في النهاية ليس فندقا لسائح او دكانا لتاجر او مكتبا لجوازات المهاجرين واللاجئين . نحن نطمح لبناء وطن وانشاء دولة " .

في المرحلتين الحاسمتين من تاريخ لبنان الحديث — يوم انبعث في حدوده الحاضرة ويوم اصبح سيدا فيها — يوم كانت المهمة هي نفخ روح لبنان القديم في هيكله الجديد ومده بالماء المحيي من جذوره الضاربة في اعماق التاريخ والحضارة — يوم كانت المهمة هي التأليف بين الجبل والشاطىء ، بين السلسلة الفقرية والرئة في الجسم الواحد — يوم كانت المهمة هي ازالة الحجب بين ابناء الوطن الواحد والموافقة بينهم وشد بعضهم الى بعض ، على اساس ان اختلافهم ليس خلافا بين قيم ، بل تنوعا لها وتعدادا ، وبالتالي وفرة وغنى — يوم كانت المهمة بعد ذلك هي = الاستجابة لدعوة لبنان في زحمة الاخطار المحيقة به وبالعالم ، استنجازا لحريته واستقلاله — ويوم كانت المهمة هي ارساء قواعد التعاون بين لبنان والدول العربية الشقيقة في ميثاق الجامعة ، وبينه وبين العالم ، على صعيد السياسة والثقافة والاقتصاد جميعا — يوم كانت المهمة هي دق ناقوس الخطر وتبصير لبنان والدول العربية والعالم بعاقبة تدفق اليهود على فلسطين واقامة اسرائيل واستشراء المطامع الصهيونية — يومها ، كان ميشال شيحا لتلك المهمات في مقدمة من كان ، بل كان الداعي اليها وموجه العاملين في سبيلها ، بأيمان وحكمة ، وبعد نظر يقرب من النبوة .

اما في مجال تجهيز لبنان — بعد ابراز شخصيته وتحديد رسالته — بجهاز الحكم وكيفية تسييره ، فقد كانت له آراء ومواقف صدر فيها ، كما صدر عن اخواتها ، عن معرفة باوضاع هذه البلاد وتقاليدها ، وطبائع اهلها ومؤهلاتهم ، ووعي لمعطيات العصر ، ملتزما في ذلك كله الحرية ، ايمانا منه بان لبنان لا يستقيم له

امر الا بالحرية ، فمؤسساته للخلة العامة يجب ان تتركز عليها قبل اى شيء آخر . ان الديمقراطية هي شكل الحكم الوحيد الذى يصلح للبنان ـ والقول هنا لميشال شيحا ـ " مع مجلس تلتقي فيه الطوائف على مراقبة الحياة السياسية ، فاذا حذفتم المجلس نقلتم النقاش حتما الى المسجد او الى ظله ، واخرتم بذلك الترقي المدنية " . وهكذا كان يقول منذ سنة ١٩٤٢ ، وقد زاد فيما بعد قوله : " ان لبنان لا توائمه الثورات والانقلابات ، وعليه ان يتحاشى الاستبداد والتسلط وتحكم فئة بفئة وضروب العنف جميعا " .

ايها المستمعون الكرام ،

لقد افتتح معالي وزير الخارجية كلمته في الملتقى عند رئيس مجلس امناء الندوة بأن نقل الى الحضور الكرام تحية فخامة رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب الذى عرف ميشال شيحا عن كثب واحبه وقدره محبة وتقديرا بالغين .

والندوة كانت قد رفعت الى فخامة اللبناني الاول ، بكل اعتزاز ، كتابها الجديد " لبنان في شخصيته وحضوره " يقينا منها ان لبنان ، في شخصيته وحضوره ، وفي ما ارتجاه له ميشال شيحا في محاضراته هذه ، انما هو الماثل في قلب رئيسنا الكبير وعلى راحتيه ، فكرا وقولا وعملا ، تصميما وتخطيطا ومنجزات اعمار ، وهو الذى كان محور لقاء بين الرجلين ، وهو الذى وثق بينهما أواصر مودة وحرمة توافقت في الرؤية المثلى لهذا الوطن ، لتاريخه ، لشعبه لرسالة شعبه .

ومما قلناه ايضا في كلمة الاهداء : " ان ما اوتيه ميشال شيحا ، في صفحاته هذه ، وفي سواها ، من رهافة الاستشفاف وصدق التفكير وصفاء الايمان ، ان هو الا حصيلة معايشة عميقة للبنان في احق خصائصه ، معايشة كنزتها خبرة الحياة والكتاب ، فتجلت رؤى لهذا الوطن ومقومات ، يوم كان هذا الوطن في حيرة من وضعه . فكان رؤاه يوم بثها ، كتابة وقولا ، بثها لتقرأ وتفعل ، امس واليوم وغدا وبعد غد ، وتعم كل من يعنيه بمصير لبنان ، وتعم اخوة له وجارات ، وسائر العالم .

وهذا ما حدانا على نقلها من الفرنسية الى العربية ، على يد اديب لبناني مرهف ، وما خوّلنا ان نرفعها الى اللبناني الاول الذى اقام منه توقد ايمانه بالحقيقة اللبنانية حارسا لها ، يكلأها بمزيد المحبة والحرص ، فاذا عهده ، وقف على تعزيز هذه الحقيقة واستنهاض مقوماتها وترسيخها على اسس من الحرية والانفتاح والاعتدال والعدالة والاشراق ، وعلى اسس من التعاون الاخوى المخلص مع الشقيقات العربيات لما فيه خيرها وخير لبنان .

ايها المستمعون الاجلاء ،

عن "لبنان في شخصيته وحضوره" ، قالت جريدة "الجريدة" : ليس هذا الكتاب مجرد محاضرات . انه مدرسة كاملة . ولئن كان نشره بالعربية مأثرة ، فان قراءته من الواجبات الاولى . هذا الكتاب لا يعلمنا وحسب ، بما انه ، بما يختزن من طاقة الايحاء وما يكتنز من الحرارة والايمان والصدق ، يوجهنا ويلهمنا .

والى اللقاء يوم الثلاثاء القادم ، لننقل اليكم خلاصة محاضرة سيادة المطران فاوغيطوس ادلبي عن المجمع المسكوني الفاتيكاني : واقعه واتجاهاته ، ـ والسلام عليكم .